١٢ ـ القراءات بين الإهمال والإعجام وأثرها في المعنى
إعداد د / هادي حسين عبد الله .

تعانق معاني القراءات المتواترة فيما قرئ باسم الفاعل،واسم المفعول

دراسة بلاغية

أ.د/ إبراهيم صلاح الهدهد

نائب رئيس جامعة الأزهر
مقرر اللجنة العلمية الدائمة للترقية (بلاغة ونقد)

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن عربيا، وأرسل الرسول عربيا، ثم يسره للذكر، وأجراه على الألسن جريان الماء،وجعله للآذان آسرا، وعلى القلوب مهيمنا وبعد

فهذا بحث يتناول بالتحليل البلاغي المتأني الصابر سياق الكلمة القرآنية موضع القراءة من الجملة، ومعاقد تلك الجملة بسياق المقال والاستبصار بسياق الحال،

وقد تعددت المواقع التي قرئت فيها الكلمة الواحدة باسم الفاعل واسم المفعول، وتتجه هذه الدراسة لاستيفاء تلك المواضع بالدرس والبحث، وعلى كثرة البحوث في توجيه القراءات القرآنية بلاغيا إلا أني لم أقع ـ فيما بحثت ـ على بحث جامع لتنوع القراءات فيما قرئ باسم الفاعل واسم المفعول بلاغيا، وقد راجعت: التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية للمرحوم الزميل د/ عبد الله عليوة، والتوجيه البلاغي للقراءات القرآنية للدكتور أحمد سعد، فلم يعرضا لذلك وحسبهما ما صنعا فقد اتسعت دائرة بحثهما جدا، وقد عرض د/ حمدي الهدهد في رسالته للماجستير (الفروق بين روايتي الدوري عن أبي عمرو والكسائي لبضعة مواضع (آية آل عمران ١٢٥، النساء ٢٥،يوسف ٣٦،النور ٣٤،٣٦، الطلاق ١١) ووجهتنا غير وجهته في البحث، وقد اصطنعت المنهج الأهدى سبيلا والأبر بنمط البحث، وهو المنهج التحليلي الكلي الذي يسبر أغوار المعنى القرآني، ومجيئه على لاحِبِ سياق السورة، المتظاهر على بيان مقصودها الأعظم، ويستثمر ذلك المنهج النظر في بنية الكلمة القرآنية ـ موضع القراءة ـ وتدبر هيئتها وموقعها من الجملة، ويكشف عن معاقد الجملة بالسياق الخاص والسياق العام، ويُتَوقَّع أن يهدي هذا المنهج إلى أن تنوع القراءات القرآنية هو تنوع تعانق لاتعاند، وتآزر لااختلاف، وأنه جاء تجاوبا مع السياق، وتلاؤما مع المقصد، وقد تناولت الكلمة موضوع القراءة مثل (المحصنات) تحت عنوان واحد ليكون ذلك عونا لإبصار فارقات المواقع، وتنزيها للبحث عن التكرار،والبحث يستبصر ـ في كل ذلك بتراث الأسلاف؛ اتقاء الزلل، وصونا للزيغ، ودفعا للهوى، ضارعا إلى مولاه أن يهديه إلى سواء السبيل.

كتبه

أ.د/ إبراهيم صلاح الهدهد

تنوع القراءات في وصف أهل القبلة

قال : تعالى ـ ﴿ وَلِكُلٍّ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [سورة البقرة آية: ١٤٨]

قرأ بن عامر (هو موَلاَّها) بفتح اللام، أي: هو موجهها، وقرأ الباقون (هو مولِّيها) (١) والمعنى على قراءة الفتح : لكل إنسان قبلة ولاّه الله إياها، والمعنى على قراءة الكسر: ولكل فريق وجهة هو مولِّيها وجهَه بمعنى متبعها وراضيها، وقد وقعت الصيغة مسندا ضمن جملة (هو موليها) وهذه الجملة وقعت في محل رفع صفة لـــ (وجهة).

والقراءتان وردتا في سياق الحديث عن تحويل القبلة في سورة البقرة، وهو سياق تفردت به هذه السورة وفي السياق ما يؤيد كل قراءة، فقراءة اسم الفاعل ناظرة إلى قوله ـ تعالى ـ (فولّ وجهك شطر المسجد الحرام ...(البقرة/ ١٤٤) وقوله: (فولوا وجوهكم ...) (البقرة/ ١٤٤) وقوله : (ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض...)(البقرة/ ١٤٥) وكان ذلك قبل موضع الشاهد،وجاء بعده (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام...)(البقرة/ ١٤٩)و(ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره...)(البقرة/ ١٥٠) فقد جاء فعل الأمر للواحد والجماعة، وجاء اسم الفاعل كذلك(تابع) وهو ما يؤيد القراءة باسم الفاعل وكأنها جاءت معلنة عن تنفيذ الأمر تناغما مع السياق المقالي المحيط بها من بين يديها ومن خلفها، وربما كان المؤيدات الثمانية هي السر وراء قراءة الجمهور باسم الفاعل،

---

(١) حجة القراءات لأبي زرعة ١١٧، تحقيق سعيد الأفغاني،ط،مؤسسة الرسالة،بيروت ١٩٨٤م، ومعاني القراءات للأزهري ٦٥، تحقيق الشيخ أحمد فريد المزيدي ، ط،دار الكتب العلمية،بيروت دون تاريخ، والكشف عن وجوه القراءات وعللها لمكي القيسي ١/ ٢٦٧،تحقيق محيي الدين رمضان،ط مؤسسة الرسالة، بيروت،دون تاريخ، والحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٢/ ٢٣٠،٢٣١، تحقيق بدر الدين قهوجي ، وبشير جويجاتي، ط دار المأمون للتراث دمشق وبيروت ١٩٨٧م، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ١٩٥ . لشهاب الدين الدمياطي ، تحقيق أنس مهرة، ط، دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠١م

وتفرد ابن عامر بقراءة الفتح، إذ لها مؤيدات ثلاثة في السياق،في مقابلة ثمانية مؤيدات لقراءة الكسر.

وقد جاء في السياق ما يؤيد قراءة اسم المفعول (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها...)(البقرة/ ١٤٢) (قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)(البقرة/ ١٤٢) (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها) (البقرة/ ١٤٤) فجاءت قراءة اسم المفعول منبئة عن تولية الله لهم.

وربما يكون في قراءة اسم الفاعل تناسب في أن جميع البشر متساوون أمام الله ـ عز وعلا ـ في خطاب الهداية، لذا كانت قراءة الجمهور، وفي قراءة اسم المفعول إشارة إلى قلة المجيبين خطاب الهداية، لذا كانت قراءة إمام واحد، وقد أُيدت كل قراءة من السياق بما يلائمها، وجاءت المؤيدات ملائمة حجم غير المستجيبين وحجم المستجيبين.

تنوع القراءات في وصف ملائكة غزوة بدر

١ـ قال : تعالى ـ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [سورة آل عمران آية: ١٢٤]

٢ـ قال : تعالى ـ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [سورة آل عمران آية: ١٢٥]

٣ـ قال : تعالى ـ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الأنفال آية: ٩]

وصف الملائكة بثلاثة أوصاف في ثلاثة مواضع، وقرئ كل موضع بقراءتين فكأنها ستة أوصاف (منزلين) قال الزمخشري:"وقرئ (منزَّلين) بالتشديد مع الفتح و(منزِلين) بكسر الزاي بمعنى : منزِلين النصر"(١) و(مسومين) قرأها ابن كثير وأبوعمرو وعاصم ويعقوب بالكسر، وقرأ الباقون بالفتح(٢) و(مردفين) قرأها ابن كثير وأبو عمرو،وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بكسر الدال، وقرأها نافع وأبو جعفر ويعقوب بفتح الدال(٣).

وفي قراءة التشديد والفتح في (منزلين) ترهيب للأعداء، لكون قوتهم على قدر من أنزلهم ـ سبحانه ـ وفي قراءة الكسر إشارة إلى الغاية من إنزالهم، فتعانق المعنيان ولم يتعاندا.

والمعنى على قراءة الكسر ـ في مسومين:"معلِّمين بالسَّوْمة أي: أن الملائكة قد سوّمت خيلها وأرسلتها ترعى"(٤) والمعنى على قراءة اسم المفعول: "مرسَلين؛ استنادا إلى قول العرب : لنسوِّمَنّ فيكم الخيل، أي: لنرسلنَّها فيكون المعنى: مرسَلين

---

١) الكشاف ١/ ٤٦٢.

٢) حجة القراءات لأبي زرعة ١٧٣، معاني القراءات ١١٠، إتحاف فضلاء البشر ١١٠.

٣) الكشف ١/ ٤٨٩، وحجة القراءات لأبي زرعة ٣٠٧، والحجة لأبي على الفارسي ٤/ ١٢٤، إتحاف فضلاء البشر ٢٩٦.

٤) ينظر: معاني القراءات ١١٠، وإتحاف فضلاء البشر ٢٢٨.

على الكفار، وقد ذكروا أن ذلك يكون موافقا لمعنى (منـزَلين)(١) "أو مسومين أنفسهم أو خيلهم وكانوا بعمائم صفر مرخَياتٍ على أكتافهم"(٢) وقد استندوا في ذلك إلى أخبار مؤداها أن الملائكة نزلت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ معتمّين بعمائم صفر فأضافوا الاعتمام إليهم(٣) فالقراءة بفتح الواو دلت على أن الله سوّم الملائكة، أي: أرسلها للقتال في صفوف المسلمين، ودلت قراءة اسم الفاعل على أن الملائكة قد سومت خيلها، وأرسلتها للقتال في صفوف المسلمين، فهذا إعداد من الله للملائكة، ثم إعداد من الملائكة لخيلهم، فكانت كل قراءة بمثابة آية أخرى"(٤) وكان من عادة العرب في حروبها أن يكون للفوارس علامات يعرفون بها، وأنهم كانوا يصنعون ذلك إدخالا للرعب في قلوب الأعداء، وقد جاء في الخبر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال يوم بدر : (سوّموا فإن الملائكة قد سوّمت)(٥) فنسب الفعل إلى الملائكة.

ومعنى (مردِفين) على قراءة الكسر أي : جائين بعد لاستغاثتكم ربكم وإمداده إياكم، وهي على هذا صفة لـــ (ألف) أي: رادفين، وعلى قراءة الفتح يكون المعنى: أردفهم الله، أي: بعثهم على آثار من تقدمهم، لأن الناس الذين قاتلوا يوم بدر أردفوا بألف من الملائكة، أي: أنزلوا إليهم لمعونتهم، أي: متبَعين، وعلى هذا يكون (مردفين) حالا من الضمير المنصوب في (ممدكم)(٦) فقراءة الكسر أشارت إلى سرعة استجابة الله لأهل بدر، وقراءة الفتح ناظرة إلى البشارة الثانية في سورة آل عمران (بثلاثة آلاف) فكأنهما بمثابة آيتين.

فقد وقعت ثلاثة أوصاف للملائكة قرئت كل صفة قراءتين فنحن أمام ست بشارات، والكلمات موضوع القراءة وقعت صفة أو حالا وهو قيد مهم يكاد يكون

---

١) ينظر: حجة القراءات ١٧٣

٢) إتحاف فضلاء البشر ٢٢٨.

٣) ينظر : حجة القراءات ١٧٣.

٤) الفروق بين روايتي الدوري عن أبي عمرو والكسائي ١/ ٣٣١ د/ حمدي الهدهد، ط،دار البصائر ٢٠٠٩م.

٥) الحجة لأبي علي ٣/ ٧٦،٧٧.

٦) ينظر: الكشف ١/ ٤٨٩، الحجة لأبي علي ٤/ ١٢٤، حجة القراءات ٣٠٧.، الكشاف للزمخشري ٢/ ١٤٦.ط، عيسى الحلبي١٩٧٢.

محط الفائدة في السياق العام لقصة بدر في الذكر الحكيم، فقد وصف الألف من الملائكة بـ (مردفين) ووصف الثلاثة الآلاف بـ (منزلين) ووصف الخمسة الآلاف بـ (مسومين) وفي هذا دلالة على ثراء المدد الإلهي والعون الرباني لأفضل جيل عرفته البشرية، فهي ستة أمداد يميز كل منها أمران العدد، والصفة، فكل وصف يضيف مددا وكل قراءة تضيف مددا.

ولا محيص للمتفهم هنا من إبصار القراءات في المواطن الثلاثة في نور السياق القرآني في الحديث عن غزوة بدر، فبشارة الألف المردفين وقعت في سورة الأنفال وقد جاء ذلك تلاؤما مع مقصد سورة الأنفال الذي تتظاهر تراكيب السورة على بيانه فمقصودها التبرؤ من الحول والقوة وتدريب ذلك الجيل على ذلك، لذا كانت كلها عتابا لأهل بدر حين رأى كل فريق أنه الحق بالأنفال فقال بعضهم: لنا النَّفَل بحسن لقائنا العدو، وقال آخرون: لنا النَّفَل بحسن حمايتنا رسول الله، فنزع الله الأنفال من الفريقين، كما جاء في مطلع الأنفال الهادي إلى مقصودها (يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول...)(الأنفال/ ١) ثم تحدّر المعنى في السورة شارحا مقصودها مذكرا إياهم بما كانوا عليه من الخوف والضعف قبل لقاء العدو، وأنهم لولا غوث الله ما كان ما كان، بل رجع بهم إلى ما كان عليه حالهم من الضعف في مكة إلى آخر ماورد في السورة، ولك أن تراجع كل مواقع (إذ) في السورة وهي اثنا عشر- موضعا لتبصر ذلك الذي قلت لك، لكل ذلك كانت الأنفال هي الأحق بالبشارة بالألف، أما سورة آل عمران فمقصودها إثبات التوحيد، فاجتمعت فيها البشارتان (ثلاثة آلاف) و(خمسة آلاف) فهو وحده الموصوف بالقدرة والتفرد بالمدد والعطاء والعون والتأييد، فوجبت وحدانيته، وجل عن الشريك، وتنزه عن الشبيه، فمدده لاحد له، وعطاؤه لامنتهى له، وقد ضمت سورة آل عمران مدد الله لأنبيائه وأوليائه، امرأة عمران وزكريا ومريم، والمسيح، عليهم سلام الله أجمعين، كما ضمت نصر الله أولياءه صحب الرسول الكرام السادة الأعلام في بدر وأحد وذات القروح، وكثير مما ورد مما ذكرت من خصائص السورة الكريمة بما يعلن مثبتا بالدليل نصر الله من أخلص توحيده، وآمن بفردانيته، وقد جاءت البشارتان موضوع البحث في هذا النسق من السورة الكريمة التي تظاهرت تراكيبها على إثبات التوحيد وألقي جذر المقصود في صدر السورة (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) ثم تحدّرت المعاني مثبتة ذلك المقصود إلى آخر السورة فورد في كل سورة مايلائم مقصودها.

تنوع القراءات في حديث القرآن عن المحصنات

١ــ قال : ــــ تعالى ــــ ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة النساء آية: ٢٤]

وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُمْ ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة النساء آية: ٢٥]

٢ـ قال : ــــ تعالى ــــ ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [سورة المائدة آية: ٥]

٣ـ قال : ـــ تعالى ـــ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤﴾ [سورة النور آية: ٤]

٤ـ قال : ـــ تعالى ـــ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٢٣﴾ [سورة النور آية: ٢٣]

هذه ثمانية مواضع وقعت فيها صيغة المحصنات اتفق القراء على الفتح في الموضع الأول من الآية (٢٤ من سورة النساء) وقرأ الكسائي بالكسر في باقي المواضع، وقرأ الباقون بالفتح في القرآن كله (١)

ولقد ذكروا أنه إنما وقع الاتفاق على فتح العين من قوله (والمحصنات) من الآية ٢٤ من سورة النساء لما فسروه من أن المراد بهن في هذا الموضع الحربيات المتزوجات في دار الحرب(٢) وإنما خص الكسائي (والمحصنات من النساء) بالفتح؛ لأنه نزل في ذوات الأزواج حرم الله وطأهن، واستثنى ملك اليمين من السبايا"(٣)

والمعنى في سوى هذا الموضع المسلمات العفيفات،وعلى قراءة الفتح يكون إسناد الإحصان إلى غيرهن من زوج أو ولي أو الله تعالى، وعلى قراءة الكسر يكون المعنى : أنهن يحصِنّ أنفسهن بالعفاف أو فروجهن بالحفظ، أو بالتزويج أو بالإسلام، فهن أحصن أنفسهن بعفاف أو بإسلام(٤)

أولا : مواضع سورة النساء : قد جاءت ثلاثة مواقع بعد الموقع المتفق على قراءته في سورة النساء، وقد تنوعت المواقع الثلاثة في مكانها من التراكيب الواردة فيها، فقد وقعت الأولى مفعولا به (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات) ووقعت الثانية حالا (وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات) ووقعت الثالثة بالجر

---

١) ينظر الكشف ١/ ٣٨٤، معاني القراءات ١٢٣، حجة القراءات ١٩٦،١٩٧، الحجة لأبي علي ٣/ ١٤٦،١٤٧. إتحاف فضلاء البشر ٢٣٩.

٢) ينظر: حجة القراءات ١٩٦،١٩٧، والحجة ٣/ ١٥٠.

٣) الكشف ١/ ٣٨٤.

٤) ينظر: حجة القراءات ١٩٦،١٩٧، والحجة ٣/ ١٥٠.

(فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) وعلى الجملة ذكر الإحصان بمشتقاته في آيتي النساء (٢٤،٢٥) ست مرات الآية الأولى (المحصنات ـ محصنين) الآية الثانية (المحصنات ـ محصنات ـ أحصن ـ المحصنات) فالإحصان قطب المعنى في الآيتين، وهو الذي عليه المدار في المجتمع المسلم، ويؤيده الحديث (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)(١) فإذا ضممت تنوع القراءات أضفت ثلاثة مواضع أخرى، لأن كل قراءة بمثابة معنى جديد غير الأول، فعلى قراءة اسم المفعول يكون المعنى: أن التزويج هو طريق الإحصان للمسلمة والمسلم والمجتمع كله، ليكون مجتمعا طاهرا نقيا عفيفا، فالقراءة كاشفة عن أثر التزويج في المجتمع على الفتاة والفتى والأسرة كلها، وليتكافأ المعنى، ولتُدفَع شبهةُ ميل المرأة إلى الفساد لولا الزواج، كما توحي به هذه القراءة، ولئلا تظهر قراءة الفتح أن الزواج سبب عصمتها وحده، جاءت قراءة الكسر معلنة أنها تؤثر في الرجل إحصانا بمثل ما يؤثر فيها إحصانا، وأنها تكسبه العفة والطهر، بمثل ما يكسبها العفة والطهر، وأن الأمر بينهما شركة وأنهما يتعاونان معا بشرع الله في بناء مجتمع طاهر عفيف، يأوي فيه كل منهما للآخر، في سياج من الإحصان يحوطهما، وهكذا يكرم الإسلام المرأة، ولو جاءت قراءة الفتح وحدها لكان الخطاب متجها إلى المرأة وحدها، لكن القراءة الثانية ساوت بينهما، والعدل والمساواة حتى في الخطاب مُعِينٌ على التواصل، والتواصل في الأسرة الواحدة أساس التواصل في المجتمع كله، والتواصل هو مقصود سورة النساء الأعظم، الذي ألاح به اسمها، وغرس جذر المقصود في مطلعها (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا) (النساء/ ١) ولأنها سورة التواصل كان من خصائصها الحديث عن الميراث الذي يكون عدم تطبيقه سببا للتهاجر، وطريقا للتدابر كما اختصت السورة بالحديث عن حقوق الجوار التي بعدم تطبيقها يكون التهاجر في المجتمع، وكذلك حقوق الأيتام والزوجات، فقد جمعت السورة كل ما يحقق التواصل، والإحصان من دعائم التواصل في المجتمع لذا كثر الحديث عنه في الآيتين، وضوعفت الكثرة بتنوع القراءات،وحظيت سورة النساء بتكرار الإحصان ومشتقاته ست مرات

---

(١) الحديث رواه الترمذي.

أضف إليها ثلاثة مواضع بسبب تنوع القراءات فيكون المجموع تسعة مواضع، ولا غرابة فهي سورة التواصل، والإحصان من دعائمه.

ثانيا: موضعا سورة المائدة: قرأ الكسائيّ بكسر الصاد في الموضعين، وقرأ الباقون بفتحها(١) وقراءة اسم الفاعل فيها إنصاف للمرأة، وإنصاف للنساء من أهل الكتاب، وإعلان لعدل الإسلام مع أتباعه، وغيرهم ممن لم يؤمن برسول، ومن هنا علا غيره، فكما قرئ بكسر الصاد في المحصنات قرئ بمثله في المحصنات من الذين أوتوا الكتاب.

وقراءة فتح الصاد اسم مفعول بيان للناس عن أثر التزويج في الإحصان، وفي إقامة مجتمع طاهر عفيف، فالزواج شريعة الطاهرين، وطريق الساعين إلى العفة.

ثالثا: موضعا سورة النور: قرأ الكسائي بكسر الصاد، وقرأ بالفتح غيره(٢) الآيتان من سورة النور، وهي سورة الأسرة تحوطها بنورها، وتقيم حدودها ومعالمها، وتشيد من حول العرض حصنا مصونا، وتحيط المرأة بسياج الطهر والنقاء، وتدفع الألسن عنها بحد القذف، وقد جاءت الآية الأولى بعد الحديث عن الزناة والأمر بجلدهم عند ثبوت الواقعة، وحذر الأمة من الرأفة بهم إلى آخر ذلك، ثم جاءت الآية الكريمة دافعة غائلة القذف عن المحصنات بإنزال عقوبة مادية (الجلد) وأخرى معنوية (ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا) وإخراجهم من دائرة الإيمان(وأولئك هم الفاسقون) والتشديد والاحتياط في إثبات الواقعة التي على ثبوتها كان القذف (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) وأعلنت قراءة الفتح التي بها تكون المحصنات اسم مفعول التشديد بشأنهن، وعدم الاعتداء عليهن قولا أو فعلا، فهن محصنات ومن اخترق إحصانهن بالقول كانت العقوبة ما ترى، وهذا إعلاء لشأن المرأة؛ صونا للعرض، وإشاعة للطهر.

وتعلن قراءة الكسر التي بها تكون المحصنات اسم فاعل تعدى إحصانها إلى زوجها فبها يغض بصره، ويحصن فرجه، ويستوجب العقوبة الأشد (الرجم) إذا ما اقترف الزنا وهو محصن، فالزوج يكون محصنا بالزواج.

والآية الثانية (إن الذين يرمون المحصنات الغافلات...) الآية معلنة شدة الوعيد والتهديد بالطرد من رحمة الله في الدنيا والآخرة، وأعقبت بما يشيب النواصي رعبا

---

١) البدور الزاهرة ١٥٢.

٢) البدور الزاهرة ٣١٥.

(يوم تشهد عليهم ...) (النور/ ٢٤) وقراءة الفتح شهادة من الله لهن بالعفة والطهر مما استوجب لعن من رماهن بغير ما شهد الله به لهن، وقراءة الفتح معلنة عن أثرهن في الرجال، والقراءتان متعانقتان في التأكيد على طهرهن وعفتهن، الذي تعداهن إلى الرجال.

تنوع القراءات في وصف الفواحش والآيات

أولا: وصف الفواحش:

١ــ قال : ـــ تعالى ـــ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [سورة النساء آية: ١٩]

٢ـ قال : ـــ تعالى ـــ ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠﴾ [سورة الأحزاب آية: ٣٠]

٣ــ قال : ـــ تعالى ـــ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١﴾ [سورة الطلاق آية: ١]

ثانيا: وصف الآيات:

١ـ قال : ـــ تعالى ـــ ﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٣٤﴾ [سورة النور آية: ٣٤]

٢ـ قال : ـــ تعالى ـــ ﴿لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٦﴾ [سورة النور آية: ٤٦]

٣ـ قال : ـــ تعالى ـــ ﴿رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ

﴿وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ [سورة الطلاق آية: ١١]

أولا: وصف الفواحش:

قرأ بالفتح (مبينة) في النساء والأحزاب والطلاق ابن كثير وأبوبكر عن عاصم، وقرأ بالكسر الباقون(نافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص)(١) والمعنى على قراءة الفتح: مبينة ظاهرة،أي: أن الله قد بينها،والمعنى على قراءة الكسر: أن الفاحشة مبينة عن نفسها لشدة قبحها، وهي تبين حال مرتكبها.

وقعت (مبينة) صفة لفاحشة؛ تقييدا للفاحشة،وهذا القيد في هذا السياق ذو أثر بالغ جدا؛ لأنه في سياق دفع الظلم عن النساء، وكأن دفع الظلم عن النساء هو محور ترابط الأسر؛ لذا سميت السورة باسمهن، كما أن سياق نزول القرآن آنذاك سياق اجتماعي يضطهد المرأة ويغمطها حقها، ويهدر قيمتها، ومطلع الآية مليح بذلك فلقد كانوا يرثون النساء كرها، وكانت المرأة يموت بعلها فيلقي أخوه بالثوب عليها، فتصير من جملة متاعه، دون خيار لها، ولا أظلم من أن تصير المرأة كمتاع البيت.

وسياق القرآن معلن عن ظلمهن؛ لذا حدد القرآن حقهن في الميراث بما لا لبس فيه، وبلغة خالية من المجاز إذ المجاز حمال أوجه، وترى الذكر الحكيم مشددا طرائق إثبات الفاحشة على المرأة، أبصر قوله ـ تعالى ـ (واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم) وألاح بقلة الثبوت بهذه الطريق بالتعبير بـــــ (إن شهدوا) أي: قلما يتحقق ذلك، وإن تحقق (فأمسكوهن...) وهذا الضبط الصارم متظاهر في الدفاع عن المرأة في مقابل شيوع ظلمها آنذاك، وسياق الذكر الحكيم في حديثه عن المرأة متظاهر على بيان ظلمها، ومتجه بتراكيبه إلى دفع ذلك الظلم عنها، وهو أمر ظاهر قاهر لمن يطالع حديث القرآن عن المرأة.

وتجئ القراءتان في (مبينة) تناغما مع السياق العام للقرآن وسياق الحال في النزول، وسياق الحال عبر الزمان كله، فقراءة الكسر مليحة بأن هذه البينة لابد أن تكون مثبتة ثبوتا جازما لاتعتريه شبهة، وهذا كله يعلي من شأن الحذر في الاتهام، وأن الأصل صون السمعة وطهارة العرض، فلا يكتفى بكونها كاشفة، ولابكون ثبوتها واضحا،

---

(١) الكشف ١/ ٣٨٣، الحجة ٣/ ١٤٥، إتحاف فضلاء البشر ٢٣٩. والبدور الزاهرة ٣٥٨، ٤٤٩ .

وإنما يطلب الاثنان معا، وهو أمر لا على إنصافهن فحسب، بل فوق إنصافهن، كما أنهما مليحتان بقيمة العرض في شريعة الإسلام، وهو ما يتعانق مع مقصد سورة النساء الذي هو التواصل، الذي يخدشه الإساءة إلى العرض، والتسارع في الوقوع في الأعراض، فجاء التحذير البالغ وتشديد النكير على الاتهام بلا بينة وثبوت ذلك ثبوتا قطعيا.

وقد جاء الموقع الثاني في سورة الأحزاب في سياق الحديث عمن هن الأسوة والقدوة في الطهر والعفاف أمهات المؤمنين ـ رضي الله عنهن ـ وقد وقعت الكلمة موضوع القراءة (مبينة) صفة لفاحشة في سياق تخيير رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أزواجه، وقد جاء جواب الشرط خاصا بهن (يضاعف لها العذاب ضعفين) على فرض ارتكاب الفاحشة شريطة إثباتها إثباتا لا لبس فيه معاذ الله أن يفعلن، وتلتها الآية الحادية والثلاثون وهي جملة شرطية، وقد جاء جواب الشرط خاصا بهن على سبيل المقابلة للآية السابقة (ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين ...) ثم أجابت الآية التالية عن سر هذا التميز سلبا وإيجابا (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء...)(الأحزاب/ ٣٢) وقد جاءت الكلمة (مبينة) بالقراءتين المبنيتين على المقابلة في الصيغة، في هذا السياق القائم على المقابلة، وفي القراءتين تشديد في الاحتياط في وصف الفاحشة، فلايكتفى بكون الفاحشة واضحة بل يجب أن تكون موضحة، فقراءة الفتح يعود معناها للفاحشة، وقراءة الكسر يتعدى معنى وضوحها إلى المخاطبين بالقرآن لتكون مقنعة فلابد أن تكون واضحة موضحة.

وفي سورة الطلاق وقعت الكلمة موضوع القراءة(مبينة) وصفا لـــ (فاحشة) وقد وقعت في تركيب في سياق الحديث عن الفراق في سورة تتظاهر تراكيبها على " تقدير حسن التدبير في المفارقة والمهاجرة"(١) وقد جاءت القراءتان على سبيل التعانق في الحث على حسن التدبير في المفارقة، ومنه الإبقاء على الأزواج في البيوت حين العدة لعل ذلك يكون سبيلا إلى التلاقي من بعد العزم على الفراق، فلا يحل إخراجهن من بيوتهن إلا بعد ثبوت ارتكابهن فاحشة واضحة في ذاتها موضحة لأسباب العقاب، ولك أن تتأمل في التراكيب لطائف أخرى من مثل (يأتين بفاحشة) والفاحشة تؤتى

---

١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي ٨/ ٢٣. ط،دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨م.

ولايؤتى بها، وكيف تكون الفاحشة بهذا التعبير واضحة كفلق الصبح، وقد خرجت من سترها، وتكشف مستورها، وكأنهن جلبنها جلبا، ومن اللطائف وقوع الكلمة في أسلوب قصر، وهو مما يعلي من اتجاه التراكيب إلى الاحتياط الشديد في تقدير حسن التدبير في المفارقة والمهاجرة.

ثانيا : وصف الآيات:

وقع وصف الآيات بـــ (مبينات) في ثلاثة مواضع من الذكر الحكيم موضعان في سورة النور وموضع في سورة الطلاق، وفي النور فتح الياء الشامي وحفص والأخوان وخلف وكسرها غيرهم، وفي موضع الطلاق فتح الياء المدنيان والمكي والبصريان وشعبة وكسرها غيرهم(١) والقراءتان في سورة النور متعانقتان متآزرتان، فالآيات واضحات موضّحات، فلا لبس فيها في حد ذاتها، وتزيل كل لبس تعرض له، والقراءتان مناسبتان لسورة النور، ناظرتان إلى مطلعها(سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون)(النور/ ١) وكذلك السياق الذي تحدّر منها، فقراءة الفتح ناظرة إلى المطلع،وقراءة الكسر ـ ناظرة إلى حديث السورة عن الإفك، وكيف كانت مبينة تناقل الحديث واشتهاره وذيوعه(وقالوا هذا إفك مبين)(النور/ ١٢) فقراءة الكسر ـ ناظرة إلى الآيات (١١:٢٥) فقد كشفت هذه الآيات الغشاوة، وبينت مثيري الفتنة، وبها سكن بيت النبوة، وآب الأمن إلى صحبه الأول الصديق ـ رضي الله عنه ـ فتلاءمت القراءتان مع السياق.

وقد وقعت الكلمة موضوع القراءة في سورة الطلاق (مبينات) صفة لآيات الله والقراءتان ملائمتان مقصد السورة الذي تتظاهر تراكيبها على بيانه، وهو حسن التدبير في المفارقة والمهاجرة،فآخر السورة ناظر لأولها، فالإخراج في أثناء العدة لا يكون إلا بإتيان فاحشة مبينة، وقد قرئت بالقراءتين، وآيات الله المبينات هي التي تخرج الناس من الظلمات إلى النور قد قرئت بالقراءتين، فهي واضحات في ذاتها موضحات سبل النور والظلمات.

---

١) البدور الزاهرة ٣١٧، ٤٤٩.

تنوع القراءات في (المخلصين ـ مخلصا)

١ـ قال : تعالى ـ ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة يوسف آية: ٢٤]

٢ـ قال : تعالى ـ ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سورة الحجر آية: ٣٩] ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة الحجر آية: ٤٠]

٣ـ قال : تعالى ـ ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾ [سورة مريم آية: ٥١]

٤ـ قال : تعالى ـ ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سورة الصافات آية: ٣٩]

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة الصافات آية: ٤٠]

٥ـ قال : تعالى ـ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [سورة الصافات آية: ٧٢]

﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [سورة الصافات آية: ٧٣]

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [سورة الصافات آية: ٧٤]

٦ـ قال : تعالى ـ ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [سورة الصافات آية: ١٢٧]

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [سورة الصافات آية: ١٢٨]

٧ـ قال : تعالى ـ ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [سورة الصافات آية: ١٥٩]

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [سورة الصافات آية: ١٦٠]

٨ـ قال : تعالى ـ﴿ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦٨ ﴾ [سورة الصافات آية: ١٦٨]

﴿ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ١٦٩ ﴾ [سورة الصافات آية: ١٦٩]

٩ـ قال : تعالى ـ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ ﴾ [سورة ص آية: ٨٢]

﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣ ﴾ [سورة ص آية: ٨٣]

هذه تسعة مواضع واحد بالمفرد(مخلصا) وصفا للكليم ـ عليه السلام ـ في سورة مريم، ووقعت ثمانية مواضع بالجمع (المخلصين) واحد منها وقع وصفا ليوسف الصديق ـ عليه السلام ـ وسبعة مواضع وقعت وصفا لعباد الله، وقد قرأ " نافع وعاصم وحمزة والكسائي وخلف بفتح اللام حيث وقع، وقرأ ابن كثير وأبوعمرو وابن عامر بكسر اللام وتابعهم نافع في (مخلصا) (١) والمعنى على قراءة الكسر: أنهم أخلصوا دينهم وأعمالهم من الرياء، والمعنى على قراءة الفتح : أنه ـ سبحانه ـ أخلصهم من الأسواء والفواحش فصاروا مخلصين، أي: بإخلاص الله إياهم.

والبديع أنه ترى معظم هذه المواضع قد جاء في أسلوب استثناء وفيه مناسبة بين المعنى والأسلوب فالاستثناء استخلاص لبعض من كل، وهو معنى الصيغة (المخلصين) والذي أبصره أن القراءتين متعانقتان وأن العلاقة بينهما علاقة ترتيبية، فمعنى اسم الفاعل أنه صفة للعباد ترجع لهم في الاتصاف بالإخلاص لله، وأن ذلك كان السبيل إلى اصطفاء الله لهم، واستخلاصهم من بقية خلقه، فجاءت قراءة اسم المفعول دالة على أثر الإخلاص، وهو الاصطفاء، وفي ذلك ما فيه من التماثل بين الجزاء والعمل حتى في عدد الحروف، والتنوع في القراءة بالفتح والكسر مليح بأن الانكسار لله ـ تعالى ـ الذي يناسبه الكسر ـ يعلي أهله، والإعلاء الذي هو نتيجة لما مضى يناسبه الفتح، ولو أخذنا بما ذكره الموجهون من معنى قراءة الفتح أن الله اصطفاهم، وأن قراءة الفتح معلنة عن النتيجة بمعنى أن إخلاصهم إنما كان سبب اصطفاء الله لهم فالعلاقة بين القراءتين على هذا علاقة ترتيبية، والإيجاز واضح في تنوع القراءات.

---

(١) الكشف ٢/ ٩،١٠، الحجة ٤/ ٤٢٠،٤٢١، حجة القراءات لأبي زرعة ٣٥٨،٣٥٩، إتحاف فضلاء البشر ٣٣١.

تنوع القراءات في وصف أهل النار

قال : ـ تعالى ـ ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [سورة النحل آية: ٦٢]

قرأ نافع (مفرطون) بكسر الراء، وقرأ الباقون بفتح الراء، وقرأ أبو جعفر بكسر الراء مشددة(١) وعلى قراءة الفتح يكون مفرطون اسم مفعول من أفرطوا، أي: أعجلوا فهم معجلون إلى النار، وقال أبو عبيد في معناه: مُتركون، وقيل: منسيون، وعن أبي عمرو : معجلون مقدَّمون في العذاب، وعلى قراءة الكسر ـ اسم فاعل من أفرط، أي: معجلون إلى النار سابقون إليها، ومنه قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (أنا فَرَطُكم على الحوض) أي: أنا متقدمكم وسابقكم، ويمكن أن يكون المعنى أنهم مسرفون مكثرون من المعاصي (٢)

وقعت الكلمة موضوع القراءة خبر (أن)والقراءتان متعانقتان، فقد جاءت في سياق الحديث عن مشركي العرب وادعائهم الولد لله، وتحديده بالأنثى، وهذا من أعجب العجب فالله يخلق وهم يختارون!! وقد سبق التركيب المتضمن الكلمة بتركيب لانظير له في الذكر الحكيم،وهو من خصائص السورة الكريمة (لاجرم أن لهم النار) فقراءة الكسر كاشفة عن السبب في استحقاقهم النار على معنى أنهم مسرفون،مكثرون من المعاصي، كما أنها كاشفة عن تسارعهم إلى المعاصي وكأنهم يسعون إلى النار في عجالة بكثرة معاصيهم وإسرافهم، ويعين على هذا قراءة الكسر ـ بالتشديد، وقراءة الفتح كاشفة عن الموقف يوم الحساب، فهم يعجل بهم إلى النار، وهم مقدمون في العذاب مقابل زعمهم (أن لهم الحسنى) فالقراءتان متعانقتان فقد كشفت قراءة الكسر عن سبب استحقاق العذاب، وكشفت قراءة الفتح عن هيئة دخولهم النار.

---

(١) الكشف ٢/ ٣٨، حجة القراءات لأبي زرعة ٣٩١، ومعاني القراءات للأزهري ٢٤٨.

(٢) مصادر الهامش السابق .

تنوع القراءات في وصف الجواري المنشآت

قال : تعالى ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة الرحمن آية: ٢٤]

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي (المنشآت) بالفتح وقرأ حمزة ويحيى عن أبي بكر عن عاصم بالكسر(١) والمعنى على قراءة الفتح : المُجرَيَات، المرفوعات، أي: أنها أنشئت وأجريت، ولم تفعل ذلك، وإنما فعل بها الإنشاء، وقد يكون لها معنيان أولهما : المرفوعات الشرع، وثانيهما: ابتدئ بهن في السير، والمعنى على قراءة الكسر :المنشآت السير وحذف المفعول للعلم به، وإضافة السير إليها أيضا اتساع لأن سيرها إنما يكون في الحقيقة لهبوب الريح، أو لرفع الصواري، أو المعنى المبتدئات في السير، والقراءتان متكاملتان، وقد وقعت الكلمة موضوع القراءة صفة للجواري، وهي على قراءة الفتح صفة تتصل بهيئتها فهي جوار مرفوعات، وهي على الكسر صفة لحركتها فهما بمثابة آيتين، وهما متعانقتان ومتسقتان مع سياق السورة التي مقصودها:" إثبات الاتصاف بعموم الرحمة ترغيبا في إنعامه وإحسانه، وترهيبا من انتقامه بقطع مزيد امتنانه، وعلى ذلك دل اسمها الرحمن"(٢) ويمكن بالنظر في سياق القرآن كله أن نفسر قراءة الكسر بما جاء في قوله ـ تعالى ـ (وهي تجري بهم في موج كالجبال)(هود/ ٤٢) فيكون المراد بقراءة الكسر الأمواج التي يحدثها سير السفن وأنه يشبه الجبال (الأعلام) فتدل قراءة الفتح على كون السفن كالأعلام، وتدل قراءة الكسر على ما تحدثه في الماء من الأعلام، ويكون تقدير المعنى على الكسر ـ وله الجوار المنشئات أمواجا كالأعلام، وهكذا يتغازر المعنى ويتعانق.

---

١) الكشف ٢/ ٣٠١، الحجة ٦/ ٢٤٧،٢٤٨، معاني القراءات للأزهري ٤٧٣، حجة القراءات لأبي زرعة ٦٩١،٦٩٢ ، إتحاف فضلاء البشر ٥٢٧.

٢) نظم الدرر ٧/ ٣٧١.

تنوع القراءات في وصف الحمر المستنفرة

قال : تعالى ـ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [سورة المدثر آية: ٤٩]

﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [سورة المدثر آية: ٥٠]

﴿ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴾ [سورة المدثر آية: ٥١]

قرأ نافع وابن عامر بفتح الفاء، وقرأ الباقون بالكسر، والمعنى على قراءة الفتح: مذعورة، فكأن القسورة استنفرتها، أو الرامي، أو المعنى أنها استدعيت للنفار من القسورة، فهي مفعول بها في المعنى، كأن النفار شئ دخل عليها، والمعنى على قراءة الكسرة: أنها فاعلة، وحجتهم أن العرب تقول: نفرت الحمر واستنفرت جميعا بمعنى واحد، قال ابن سلام: سألت أبا سوار الغنوي ـ وكان أعرابيا فصيحا قارئا للقرآن فقلت: كأنهم حمر ماذا؟ فقال: (كأنهم حمر مستنفرة) طردها قسورة، فقلت: إنما هو فرت من قسورة، فقال: أفرّت؟ قلت: نعم، قال: فمستنفِرَة إذًا[١] " والسين والتاء في مستنفرة للمبالغة في الوصف، مثل استكمل واستجاب ...أي: نافرة نفارا قويا، فهي تعدو بأقصى سرعة"[٢] والقراءات متعانقتان ملائمتان حال النزول، فإن المشركين يفرون من التذكرة فرار الحمر، ويدفعون غيرهم للفرار من التذكرة، كما أن القراءتين لاءمتا سياق المقال على حد ملائمتهما سياق الحال، فقراءة الفتح يلائمها ما بعدها (فرت من قسورة) وكأن هذا القول كاشف عن سبب كونها مستنفَرَة، وقراءة الكسر تكشف عن أثر قراءة القرآن فيهم فيستنفرون العبيد والنساء، ويدعونهم للفرار، على حالهم من العناد الدائم، والعناد دائما يجعل صاحبه يجاوز الذات إلى غيرها إمعانا في العناد، والآية من خصائص سورة المدثر، التي مقصودها" الجد والاجتهاد في الإنذار بدار البوار لأهل الاستكبار"[٣] وفيها كشف للمدثر ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أسباب الأمر بالجد والاجتهاد فالمخاطبون منهم أهل عناد واستكبار.

وختاما:

---

١) ينظر: الكشف ٢/ ٣٤٧،٣٤٨، الحجة ٦/ ٣٤١،٣٤٢، معاني القراءات ٥١٤، حجة القراءات ٧٣٤، إتحاف فضلاء البشر ٥٦٣.

٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٢٩/ ٣٣٠ ط الدار التونسية ١٩٨٤م

٣) نظم الدرر ٨/ ٢٢٠.

بعد الإبحار في الذكر الحكيم، انتهى بنا البحث فيما قرئ باسم الفاعل واسم المفعول إلى نتائج منها:

ـــ تعانق المعاني بين القراءتين، وتكاملهما في كل ما ورد.

ـــ أن كل قراءة بمثابة آية أخرى، وفي ذلك من الإيجاز مافيه.

ـــ أن تنوع القراءات في مواضع الدراسة جاء ملائما سياق الحال، وسياق المقال.

ـــ أن تنوع القراءات فيما وقع جاء في سياق تحقيق مقاصد السور التي ورد فيها.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأمته.

كتبه

أحوج خلق الله إلى عفوه ورضاه

إبراهيم صلاح الهدهد

فهرس

الموضـــــــــــــــوع	صفحة
مقدمة	٩
تنوع القراءات في وصف أهل القبلة	١٠
تنوع القراءات في وصف ملائكة غزوة بدر	١٢
تنوع القراءات في حديث القرآن عن المحصنات	١٥
تنوع القراءات في وصف الفواحش والآيات	٢٠
تنوع القراءات في (المخلصين ـ مخلصا)	٢٤
تنوع القراءات في وصف أهل النار	٢٦
تنوع القراءات في وصف الجواري المنشآت	٢٧
تنوع القراءات في وصف الحمر المستنفرة	٢٨
فهرس	٣٠